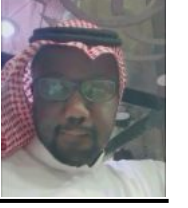


العبيثية الأخلاقية عبدالله الرسام



- التيه في عمل ليس فيه غرض .. صحيحاً لفاعله .

سألني امرأة مسنة ذات يوم : (كيف حالك يا بني) و في لحظة إدراك و صمت عميق ، أثقلني الرد و قلت " يا له " من سؤال عميق ، وقع في النفس .

و بعد التفكير ملياً ، و في لحظة ، أدركت ؟

أنني أعيش في عبثية أخلاقية ...!!!

نعم - و كما قرأتها يا عزيزي :-

أنا في عبثيات خلقية

- دعني أوضح لك ماذا تعني العبثية الخلقية :-

- با المفهوم الفلسفي :-

هو غياب المعنى و المنطق عن عقل الإنسان ، ما بين الإيمان بالشئ أو التمرد عليه ، و لربما الأستسلام له .

- و بالوعي الظاهري :-

هو التناقض بين إدراك السلوك دون معرفة الدافع ، ما بين الرغبة - الشهوة - الغريزة .

و هذا حال الفكر حين يقتصر على سطحية العقل .

- بإستثناء الرغبة - و هي منفصلة عن الشهوة و الغريزة :- و مبنية على الإختيار الواعي لما نريد أن نشعر به و نحققه .

- منذ بداية الخلق البشري لسيدنا آدم عليه السلام ، و ما تبعته الأحداث في قصة أبنائه قابيل و هابيل والتي وردت في القرآن الكريم :- لقوله تعالى " (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ^ط قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (المائدة 27) .

إذ كان بين الأخوين ، صراع عبثي خلقي ما بين الخير و الشر

ثم أستسلم للنفس العبثية ، بإرتكاب أول جريمة قتل في التاريخ البشري ، أن قابيل قتل أخاه هابيل و أصبح من الخاسرين .

- و قصة امرأة العزيز مع سيدنا يوسف عليه السلام لحادثة الإغواء لقوله تعالى :- الآية (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ^ط قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)

(يوسف : 30)

إذ كانت بين صراع الرغبة و الغريزة ، و بين السلطة والألتحام الأخلاقي .

- ثم أتت العدالة الإلهية

- و الحكمة من تلك القصة :-

هي رسالة تدبر با القدرة الإلهية ، تحمل فيها العظة و العبرة العظيمة في مكنونات إرادة الخالق سبحانه وتعالى للبشر ، للفعل ورد الفعل ، و إذ يعلمنا الرب أيضاً ، أن الحسد و الغيرة :- هما أصل جذرو الأضطرابات السلوكية للنفس البشرية ، ثم يتولد الفعل الضار ، ثم الجريمة .

و أن الرغبة و الشهوة من مفسدات إتران الوعي الأخلاقي ، و أن قمة الفضيلة ليست في الظروف بل في حسن الإختيار ومرعوة النفس البشرية .

- و اليوم عزيزي القاري حين ننظر لمن حولنا ، بمنظور الوعي المرتفع للمنطق ، ستلاحظ أن الأغلب يمارس السلوك اليومي

كعادة ، لا .. إختيار ، و الأخلاق قناع ، لا عن قناعة .

و الخاتمة :- تحدد ، سمو الأخلاق ، إن كانت مبنية عن قناعه ، أو قناع تتجلى فيه العبيثية الأخلاقية و هي ، الأكثر خداعاً ، للعقل البشري .

- وهنا يكمن السر ما بين العقل و الغموض .

يقول ديكارت :-

- ذات مرة ، في افتتاح كتابه - خطاب في المنهج

- "العقل أعدل الأشياء قسمة بين الناس ."

- لكن إن كان العقل متساوياً بين البشر ، فكيف نختلف في أفكارنا ، في موقفنا ، في أخلاقنا ؟

- الجواب كما قال ديكارت نفسه :-

ليس في الأداة ، بل في إساءة استخدامها.

- و هنا تتجلى العبيثية الأخلاقية ، حين يستخدم العقل لتبرير الرغبة لا لفهمها .

حين يتحول التفكير إلى وسيلة للهروب من الحقيقة ، لا - للوصول إليها .

- إن التيه الأخلاقي ليس غياباً للعقل ، بل هو إنحراف في بوصلته.

- كما تاه بنو إسرائيل في الأرض (40) سنة بأمر من الله لقوله تعالى الآية :- (قَالَ فَإِنَّهَا مُكْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ ۖ أَرْجَعِينَ سَنَةً ۖ يَبْيِهُونَ فِي الْأَرْضِ ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)

[المائدة: 26].

- تتيه النفس العبيثية ، حين تسئ استخدام عقلها ، تسير الأخلاق في حياة الإنسان ، كما لو كانت في دوران لا ينتهي ، بدون هدف واضح ، ليلاً ونهاراً ، دون إدراك ثم العودة لنفس المكان ما بين النقص والفساد .

- أعرف رجلين من الأصدقاء ، الودودين إجتماعياً العابثين خلقياً :-

الأول - يمتلك ملايين الدولارات و لديه أسرة رائعة جداً ، كرس حياته مابين التعليم و التجارة و المناصب ، و لكنه اليوم يعيش ، حاله من النقص و الفساد ما بين الغريزة - الشهوة - الأنانية ، المؤثرة سلوكياً بدوافع النمرود .

- و الثاني لا يمتلك شي ، عاطل ، بلغ الخمسين من عمره ، معظم حياته مليئه بالنقد و الغيرة و الحسد ، و التحليلات الرياضية و الإخبارية و يعتقد أن قرارات الكونغرس في يده .

و كلاهما غارقاً في تيهه دون إدراك للفضيلة و المروءة ، و سلوك التأثير على الأبناء و الزوجة .

و التيه لديهما ، أشد من تيه بني إسرائيل ، و للمفارقة أن تيه النفس ليس جغرافياً ، بل و جودياً أيضاً .

... وفي عصر يتسم التسارع التكنولوجي والتسيب الأخلاقي ، يجد الإنسان نفسه غارقاً في مفارقة وجودية ، بالسعي الحثيث نحو المعنى مقابل تآكل الوضوح الأخلاقي .

بوصفها حالة يتذبذب فيها السلوك البشري بين النية الواعية والدافع الغريزي ، بين الفضيلة والرغبة ، و بين قناع الأخلاق وغياب القناعة الأخلاقية ، وأن الفضيلة و المروءة هما أولى ركائز الإدراك ، للوعي الأخلاقي .

عبدالله الرسام